

التحرير والتنوير

وتعريفهم بطريق الموصولية لأنها أخصر طريق في استحضارهم بصفة عرفوا بها ولأنه يؤذن بسببية ما نالهم من العقاب والمراد بالغضب ظهور أثره من الخذلان ومنع العناية وأما نفس الغضب فهو حاصل في الحال .

وغضب الله تعالى إرادته السوء بعبدته وعقابه في الدنيا والآخرة أو في إحداهما والذلة : خضوع في النفس واستكانة من جراء العجز عن الدفع فمعنى نيل الذلة إياهم أنهم يصيرون مغلوبين لمن يغلبهم فقد يكون ذلك بتسليط العدو عليهم أو بسلب الشجاعة من نفوسهم بحيث يكونون خائفين العدو ولو لم يسلط عليهم أو ذلوا الاغتراب إذ حرمهم الله ملك الأرض المقدسة فكانوا بلا وطن طول حياتهم حتى انقرض ذلك الجيل كله وهذه الذلة عقوبة دنيوية قد لا تمحوها التوبة فإن التوبة إنما تقتضي العفو عن عقاب التكليف ولا تقتضي ترك المؤاخذه بمصائب الدنيا لأن العقوبات الدنيوية مسببات تنشأ عن أسبابها فلا يلزم أن ترفعها التوبة إلا بعناية إلهية خاصة وهذا يشبه التفرقة بين خطاب الوضع وخطاب التكليف كما يؤخذ من حديث الإسراء لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإثنين أحدهما من لبن والآخر من خمر فاختر اللب فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك هذا وقد يمحوا الله العقوبة الدنيوية إذا رضي عن الجاني والله ذو فضل عظيم .

والقول في الإشارة من قوله (وكذلك) تقدم في قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) في سورة البقرة أي ومثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المفترين .

والافتراء الكذب الذي لا شبهة لكاذبه في اختلاقه وقد مضى في قوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) في سورة المائدة .

والمراد بالافتراء الاختلاق في أصول الدين بوضع عقائد لا تستند إلى دليل صحيح من دلالة العقل أو من دلالة الوحي فإن موسى عليه السلام كان حذرهم من عبادة الأصنام كما حكاها الله فيما مضى في قوله تعالى (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) الآيات الثلاث المتقدمة آنفا فجعل الله جزاءهم على الافتراء الغضب والذلة وذلك إذا فعلوا مثله بعد أن جاءتهم الموعظة من الله ولذلك لم يكن مشركو العرب أذلاء فلما جاء محمد العرب قلوب من مهابتهم فأزال بالذلة الله عاقبتهم الافتراء على فاستمروا وهداهم الله واستأصلهم قتلًا وأسرا وسلب ديارهم فلما أسلم منهم من أسلموا صاروا أعزة بالإسلام . ويؤخذ من هذه الآية أن الكذاب يرمى بالمدلة .

وقوله (والذين عملوا السيئات ثم تابوا) الآية اعتراض بأنهم إن تابوا وآمنوا يغفر

اﻟﻠﻪ ﻟﻬﻢ ﻋﻠﻰ ﻋﺎﺩﺓ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﻣﻦ ﺗﻌﻘﻴﺐ ﺍﻟﺘﻬﺪﻳﺪ ﺑﺎﻟﺘﺮﻏﻴﺐ ﻭﺍﻟﻤﻐﻔﺮﺓ ﺗﺮﺟﻊ ﺇﻟﻰ ﻋﺪﻡ ﻣﯘﺍﺧﺬﺗﻬﻢ ﺑﺬﻧﻮﺑﻬﻢ ﻓﻲ ﻋﻘﺎﺏ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﻭﺇﻟﻰ ﺍﺭﺗﻔﺎﻉ ﻏﻀﺐ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺴﺘﻘﺒﻞ ﻭﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﺎﻟﺴﻴﺌﺎﺕ ﻣﺎ ﻳﺸﻤﻞ ﺍﻟﻜﻔﺮ ﻭﻫﻮ ﺃﻋﻈﻢ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ .
ﻭﺍﻟﺘﻮﺑﺔ ﻣﻨﻪ ﻫﻲ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ .

ﻭﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ (ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻫﺎ) ﻓﻲ ﺍﻟﻤﻮﻭﺿﻌﻴﻦ ﺣﺬﻑ ﻣﻀﺎﻑ ﻗﺒﻞ ﻣﺎ ﺃﺿﻴﻔﺖ ﺇﻟﻴﻪ (ﺑﻌﺪ) ﻭﻗﺪ ﺷﺎﻉ ﺣﺬﻓﻪ ﺩﻟ ﻋﻠﻴﻪ (ﻋﻤﻠﻮﺍ) ﺃﻱ ﻣﻦ ﺑﻌﺪ ﻋﻤﻠﻬﺎ ﻭﻗﺪ ﺗﻘﺪﻡ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻋﻠﻰ ﺣﺬﻑ ﺍﻟﻤﻀﺎﻑ ﻣﻊ (ﺑﻌﺪ) ﻭ (ﻗﺒﻞ) ﺍﻟﻤﻀﺎﻓﻴﻦ ﺇﻟﻰ ﻣﻀﺎﻑ ﻟﻠﻤﻀﺎﻑ ﺇﻟﻴﻪ ﻋﻨﺪ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ (ﺛﻢ ﺍﺗﺨﺬﺗﻢ ﺍﻟﻌﺠﻞ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻩ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ .

ﻭﺣﺮﻑ (ﺛﻢ) ﻫﻨﺎ ﻣﻔﻴﺪ ﻟﻠﺘﺮﺍﺧﻲ ﻭﺫﻟﻚ ﺇﻟﺠﺎﺀ ﺇﻟﻰ ﻗﺒﻮﻝ ﺍﻟﺘﻮﺑﺔ ﻭﻟﻮ ﺑﻌﺪ ﺯﻣﺎﻥ ﻃﻮﻳﻞ ﻣﻤﻠﻮﺀ ﺑﻔﻌﻞ ﺍﻟﺴﻴﺌﺎﺕ .

ﻭﻗﻮﻟﻪ (ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻫﺎ) ﺗﺄﻛﻴﺪ ﻟﻤﻔﺎﺩ ﺍﻟﻤﻬﻠﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﺃﻓﺎﺩﻫﺎ ﺣﺮﻑ (ﺛﻢ) ﻭﻫﺬﺍ ﺗﻌﺮﻳﺺ ﻟﻠﻤﺸﺮﻛﻴﻦ ﺑﺄﻧﻬﻢ ﺇﻥ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻳﻐﻔﺮ ﻟﻬﻢ ﻭﻟﻮ ﻃﺎﻝ ﺃﻣﺪ ﺍﻟﺸﺮﻙ ﻋﻠﻴﻬﻢ .

ﻭﻋﻄﻒ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺘﻮﺑﺔ ﻣﻊ ﺃﻥ ﺍﻟﺘﻮﺑﺔ ﺗﺸﻤﻠﻪ ﻣﻦ ﺣﻴﺚ ﺇﻥ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ ﺗﻮﺑﺔ ﻣﻦ ﺍﻟﻜﻔﺮ ﺇﻣﺎ ﻟﻼﻫﺘﻤﺎﻡ ﺑﻪ ﻟﺄﻧﻪ ﺃﺼﻞ ﺍﻟﺌﻤﺪﺍﺩ ﺑﺎﻟﺌﻤﺪﺍﺕ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺔ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻛﻘﻮﻟﻪ (ﻭﻣﺎ ﺃﺩﺭﺍﻙ ﻣﺎ ﺍﻟﻌﻘﺒﺔ ﻓﻜﺮﻗﺒﺔ) ﺇﻟﻰ ﻗﻮﻟﻪ (ﺛﻢ ﻛﺎﻥ ﻣﻦ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ) .

ﻭﻟﺌﺎ ﻳﻄﻦ ﺃﻥ ﺍﻟﺒﻘﺮﺓ ﻟﺨﻄﻮﺭﺗﻪ ﻻ ﺗﻨﺠﻲ ﻣﻨﻪ ﺍﻟﺘﻮﺑﺔ .

ﻭﺇﻣﺎ ﺃﻥ ﻳﺮﺍﺩ ﺑﺎﻟﺒﻘﺮﺓ ﺇﻳﻤﺎﻥ ﺧﺎﺹ ﻭﻫﻮ ﺇﻳﻤﺎﻥ ﺑﺎﺧﻼﺹ ﻓﻴﺸﻤﻞ ﻋﻤﻞ ﺍﻟﻮﺍﺟﺒﺎﺕ .

ﻭﺍﻟﺨﻄﺎﺏ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ (ﺇﻥ ﺭﺑﻜﻲ) ﻟﻤﺤﻤﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺄﻃﻬﺮ ﺃﻭ ﻟﻤﻮﺳﻰ ﻋﻠﻰ ﺟﻌﻞ ﻗﻮﻟﻪ (ﺇﻥ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺍﺗﺨﺬﻭﺍ ﺍﻟﻌﺠﻞ) ﻣﻘﻮﻻ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻤﻮﺳﻰ .

ﻭﻓﻲ ﺗﻌﺮﻳﻒ ﺍﻟﻤﺴﻨﺪ ﺇﻟﻴﻪ ﺑﺎﻟﺌﻤﺪﺍﺕ ﺗﻮﺳﻞ ﺇﻟﻰ ﺗﺸﺮﻳﻒ ﺍﻟﻤﻀﺎﻑ ﺇﻟﻴﻪ ﺑﺄﻧﻪ ﻣﺮﺑﻮﺏ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻓﻲ ﺫﻛﺮ ﻭﺻﻒ ﺍﻟﺮﺑﻮﺑﻴﺔ ﻫﻨﺎ ﺗﻤﻬﻴﺪ ﻟﻮﺻﻒ ﺍﻟﺮﺣﻤﺔ .